غزوة حُنَين

وفي شهر شوال من سنة ثمان للهجرة، خرج رسول الله ﷺ، ومعه ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف من أصحابه الذين شهدوا معه فتح مكة، واستخلف على مكة «عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص» ويَمَّم شطر هوازن بعد أن بلغه أن قبيلتي ثقيف وهوازن عزمتا على غزوه بعد الفتح الكبير الذي حققه في مكة وطهرها من أصنامها، وكان باعثهم على ذلك الخشية من أن ينالهم نفس المصير المهين الذي حاق بقريش وزوال هيبتها وسلطانها.

وخرج «مالك بن عوف» زعيم هوازن، وثقيف كلها تشد أزره، وحمل معه الناس والولدان وما لديه من النعم والشاء، وجعلهم خلف الجيش ليحول دون فرار المقاتلين، ولامه «دريد بن الصمة» على صنيعه، وقال: إن المنهزم لا يرده شيء، فإن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك افتضحت في أهلك ومالك، وأعلم أنك مقبل على لقاء رجل كريم قد أوطأ العرب، وهابته العجم، وأجلى اليهود، ولم تجد كلمات «دريد» عند «مالك بن عوف» أذناً صاغية. واستعار رسول الله ﷺ من «صفوان بن أمية» ـ وكان مقيماً على شركه ـ أدراعاً وسلاحاً، ومن ابن عمه «نوفل بن الحارث» ثلاثة آلاف رمح، فلما نزل بالمسلمين في وادي حنين، وجدوا العدو قد سبقهم إلى المكان، وكمنوا لهم في مضايقه وشعابه وأحنائه، ثم شدوا على المسلمين شدة رجل واحد، وجعلوهم يفرون في كل جهة، لا يلوي أحد على أحد، وانحاز النبي ﷺ ذات اليمين، ثم قال: (أين؟ أيها الناس! هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)، فلما رأى الناس لا يلوون على شيء قال: (يا عباس! ـ وكان جهير الصوت ـ

اصرخ: يا معشر الأنصار! يا أصحاب السَّمُرَة!) فنادى العباس يا معشر الأنصار! يا أصحاب السَّمُرة! فقالوا: لبيك لبيك! وكان «أبو سفيان بن الحارث» يقود بالنبي ﷺ بغلته يوم حنين، وقد اجتمع حوله من المهاجرين والأنصار، فجعل يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رئي أحد أشد منه، ولا أمضى عزيمة، وكان بعض الطلقاء من أهل مكة قد قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، فلما حمل عليهم العدو تفرقوا في كل اتجاه، ونزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

ثم حمل رسول الله ﷺ بمن ثبت معه، وأخذ حفنة من التراب فحثاها في وجوه المشركين وهو يقول: (حم، لا ينصرون، شاهت الوجوه) ووصل مدد السماء، خمسة آلاف من الملائكة بثياب بيض على خيل بلق، وتحولت هزيمة المسلمين إلى نصر مبين، وولى المشركون الأدبار تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، وكانت (أُم سُلَيْم) قد خرجت مع زوجها «أبي طلحة» وهي حامل، ومعها خنجر في يدها، فقالت: يا رسول الله! اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال: (أو يكفي الله، يا أم سُلَيْم!) ولما سألها زوجها عما تفعل بالخنجر، قالت: إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به، فقال أبو طلحة: ألا تسمع ما تقول أم سُلَيْم يا رسول الله؟ وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) فقتل أبو طلحة عشرين رجلاً واستلبهم[1]، وأصاب المسلمون يومئذٍ أكثر من أربعة آلاف أوقية من الفضة، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة وعشرين ألف بعير، وستة آلاف من السبايا كانت بَيْنَها

(١) تاريخ الطبري (٣/٧٧).

«الشيماء» أخت النبي ﷺ من الرضاعة ـ أمها حليمة السعدية ـ فمتَّعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها. وأسلم «مالك بن عوف» ورد رسول الله ﷺ أهله وماله[1].

(١) ابن هشام (٤/١٤٣).